

## ورقة موقف

### مشروع التنمية الغربي في فلسطين وحرب الإبادة على غزة

بدأت بعض الأصوات في الصحافة العالمية والحكومات الغربية تتحدث عن الرؤية التنموية لغزة، وعن خطة مارشال جديدة لغزة وللسياق الفلسطيني ككل، ارتباطاً بحرب الإبادة على غزة. وهي ليست أول مرة يدور فيها النقاش عن تحديد وتوجيه الرؤية التنموية في فلسطين، حتى التحضيرات لاتفاقية أوسلو شملت بالأساس التنظير لخطة مارشال مصغرة تتجلى من خلال التمويل الدولي ارتباطاً بالانسحاب الإسرائيلي في حينه. بالطبع التأريخ الرسمي والخاطي للتنمية الدولية يضع خطة مارشال كبداية للتنمية الدولية وكأداة لإنكار التاريخ الاستعماري للتنمية، بغض النظر عن الفشل التاريخي لخطة مارشال كأداة للتنمية الدولية في المستعمرات السابقة ومحاولة فرض الرؤى الغربية على العالم قبل الانتقال إلى التنمية النيوليبرالية بنفس المنطق<sup>1</sup>. تم النظر لخطة مارشال، كنقطة انطلاق للتنمية الدولية في دول الجنوب، كامتداد للتنمية الاستعمارية، وبالأساس، لقد تمت المجادلة بأن التنمية الدولية هي إعادة إنتاج للإنسانية الاستعمارية. ليس بقصد إنكار الاختلافات السياقية والتاريخية، لكن بقصد وضع التشبيهات الصحيحة في نصابها، نستعرض هنا بعض الأمثلة لفهم الإنسانية الاستعمارية بدلا من خطة مارشال، كأداة لفهم تطور التنمية الدولية، وانطلاقا من الحاجة لدعوة المؤسسات المحلية والدولية بتذكر هذا التاريخ ودعم الدعوة لرؤية تنموية فلسطينية تطالب بإنهاء الاحتلال والاستعمار، بدلا من المطالبة باستعمار أكثر إنسانية ومحاولة تحويل المجتمع الفلسطيني والدولي لقبول الاستعمار كواقع حتمي.

ظهرت في التاريخ الاستعماري حركات تطالب باستعمار أكثر إنسانية، منها الحركات الإصلاحية التي يتم التغني فيها بحركات مؤثرة في التاريخ البشري تجاه حقوق الانسان. إلا أن الكثير من هذه الحركات اتسمت بذات السمات العنصرية

<sup>1</sup> Hilde Henriksen Waage, "Norway's Role in the Middle East Peace Talks: Between a Strong State and a Weak Belligerent," *Journal of Palestine Studies* 34, no. 4 (2005): 6–24, <https://doi.org/10.1525/jps.2005.34.4.6>; Ruth Craggs, "1 Development in a Global-Historical Context," in *The Companion to Development Studies*, 3rd ed. (Routledge, 2014); David Myers, "Opinion: Gaza's Devastation and Palestine's Future Will Require a New Marshall Plan," *Los Angeles Times*, 2023, <https://www.latimes.com/opinion/story/2023-11-21/gaza-destruction-palestine-future-new-marshall-plan>.

التي يتم الادعاء بأنها جابقتها. منها حركة الإصلاح في الكونغو التي طالبت باستعمارٍ أكثر إنسانية، ولكنها استندت لنفس الخطاب العنصري الذي وصف الأفارقة بالوحوش وبأن وحشيتهم و"الحمى الأفريقية" هي التي نقلت العدوى للأوروبي الذي صابه جنون القتل وتحول إلى وحش، وبالتالي وضعوا مسؤولية إبادة الشعوب الأفريقية على الافارقة أنفسهم.<sup>2</sup>

بالنسبة للاستعمار الاستيطاني في أستراليا ونيوزلندا، كانت حركات الإصلاح الاستعمارية أيضا تطالب باستعمار أكثر إنسانية، وهو نهج السيطرة البيروقراطية، والسجن، والعمالة القسرية، والذي يمكن تحويله في أي لحظة إلى إبادة، حيث أن مشروع الاستعمار الاستيطاني بطبيعته مشروع إبادة. إلا أن الجلد والتعذيب المباشر "لم يؤدِّ إلى إصلاح السكان الأصليين" بحسب الإنسانية الاستعمارية.

عندما قاوم السكان الاصليون في الجبال الزرقاء في أستراليا التقدم الاستيطاني، انتشر عنف التخوم من قبل المستوطنين، ادعت الحكومة حماية السكان الأصليين من المستوطنين من خلال الحكم العسكري الذي هدف لإخضاعهم. كانت المجادلة هنا، ليست ببعيدة عن المجادلات الانسانية الاستعمارية، بأن السكان الأصليين هم وحوش وبحاجة لتحول ثقافي يحول دون ارتكابهم للعنف. لم يطالب هذا الخطاب العنصري بإنهاء الاستعمار، بل ساعده بتطوير أدوات العنف بما يضمن استمراريته، منكرًا بنية الاستعمار كمسبب للعنف.<sup>3</sup>

هذه الخصائص الخطابية باتت مألوفة اليوم. ومع قدرة مشروع "التنمية" الغربي، كمشروع يتقاطع بطبيعته مع الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، على الكشف عن تقاطعاته مع خصائص الاستعمار الاستيطاني للإبادة الجماعية في أي لحظة، هو أيضا يكشف بوضوح عن دورٍ كان يلعبه في السنوات الماضية، وهو خلق أدوات مساندة للسيطرة والاضعاع، والتغيير الثقافي، بما يضمن استمرارية الاستعمار الاستيطاني. حيث باتت نفس الدول تدعم الوجوه والخصائص المختلفة لهذه البنى

<sup>2</sup> Myers, "Opinion: Gaza's Devastation and Palestine's Future Will Require a New Marshall Plan"; Craggs, "1 Development in a Global-Historical Context." Felix Lösing, *A ›Crisis of Whiteness‹ in the ›Heart of Darkness‹: Racism and the Congo Reform Movement* (Bielefeld: transcript publishing, 2020); Penelope Edmonds and Anna Johnston, "Empire, Humanitarianism and Violence in the Colonies," *Journal of Colonialism and Colonial History* 17, no. 1 (2016), <https://muse.jhu.edu/pub/1/article/613279>.

<sup>3</sup> Edmonds and Johnston, "Empire, Humanitarianism and Violence in the Colonies."

وتحولاتها ارتباطاً بالواقع الفلسطيني. حيث أن دولا دعمت وقادت مشروع "التممية" الغربي في فلسطين، حولت خطابها مباشرة تجاه دعم حرب الإبادة على الفلسطينيين.

لقد كانت وجهات النظر النقدية تجاه مشروع التتمية النيوليبرالية في فلسطين واضحة عبر تكرار المجادلة بأن لا تنمية ممكنة تحت الاحتلال، وهنا نكرر هذه الفكرة، بأن أي مشروع يدعم الاحتلال من جهة، أو يعمل من خلال محدداته في السياق التنموي، يعيد انتاج البنى الاستعمارية كحد أدنى،<sup>4</sup> ولكن التسارع للدعم العسكري ضد الفلسطينيين وفقدان الحيلة عند الحديث عن القانون الدولي ارتباطاً بالاحتلال، بات مألوفاً من العديد من الدول الحاملة لمشروع التتمية الغربي في فلسطين.<sup>5</sup>

في التاريخ المعاصر، ومع انتشار المواثيق الدولية لحقوق الانسان، باتت الدول، تتصارع لسنوات حول تسمية الأحداث المعينة. فمصطلح الإبادة أصبح حكراً للحالات التي تتيح استخدام نظام "المسؤولية في الحماية" والتدخل العسكري بما يخدم المصالح الامبريالية، أما مكافحة التمرد، فيغني عن الحاجة للتدخل، فهو أحد أسباب وجود الجيوش بحسب هذه المجادلة. إن الإبادة لمكافحة التمرد هي من الأمور اليومية في التاريخ الاستعماري، حيث كانت المقاومة تظهر من بين الشعوب، ولم ينشغل الاستعمار يوماً في محاولة التمييز بين المقاتل والمجتمع، بل هدف لتدمير المجتمعات بكل خصائصها.<sup>6</sup>

في ظل التحولات المختلفة في شكل الاستعمار في السياق الفلسطيني، انتقلت المؤسسات التنموية الفلسطينية من التتمية الشعبية إلى مؤسسات ممولة من الغرب كجزء من آثار مشروع التتمية الغربي في فلسطين. بالرغم من إدراك المؤسسة الفلسطينية لدورها المحلي، إلا ان حالة فقدان المؤسسات لثقة المجتمع سادت إلى حد كبير. ومع التحول الأخير في الواقع الفلسطيني نتيجة حرب الإبادة على غزة، لقد بات من الضروري إعادة صياغة النماذج التنموية والبحث عن بدائل تنموية

---

<sup>4</sup> آدم هنية، "التتمية كأداة للنضال مواجهة واقع الهيمنة في فلسطين" (رام الله، فلسطين: مركز دراسات التنمية - جامعة بيرزيت، 2012) <https://cde.birzeit.edu/wp-content/uploads/2019/09/adam.pdf>.

<sup>5</sup> Lisa Bhungalia, "Managing Violence: Aid, Counterinsurgency, and the Humanitarian Present in Palestine," *Environment and Planning A: Economy and Space* 47, no. 11 (November 2015): 2308–23, <https://doi.org/10.1177/0308518X15598263>.

<sup>6</sup> Mahmood Mamdani, "Responsibility to Protect or Right to Punish?," *Journal of Intervention and Statebuilding* 4, no. 1 (March 2010): 53–67, <https://doi.org/10.1080/17502970903541721>.

عبر الانتقال لخطوات عملية في هذا الاتجاه. وهو ما بات واضحاً في النقاشات التي تخوضها المؤسسات المحلية عن دورها وجدوى وجودها. وهنا تبرز بالضرورة أهمية إعطاء المركزية للرؤية التنموية الفلسطينية والمحلية كأساس للعمل التنموي. ومن هذا المنطلق، ومع التركيز على هذا التحليل والموقف، سيعمل مركز دراسات التنمية على المساهمة في إحياء النقاش حول بدائل التنمية بشكلها المهيمن اليوم، إضافة للقاء المؤسسات المحلية والفاعلين المجتمعيين المختلفين للبحث في الرؤى المختلفة والمشاركة التي يمكن بها المساهمة في تطوير وتنفيذ نماذج مغايرة ومحلية للتنمية بما يضع الشروط والرؤية التنموية الفلسطينية كأساس للعمل التنموي في فلسطين.

سيعمل المركز مع المؤسسات المحلية المعنية لخلق مساحة للنقاش حول الرؤية التنموية، عبر تحديد الأولويات والاحتياجات التنموية بناء على عمل وتجارب كل من المؤسسات المشاركة، وذلك بشكلٍ مستمر، للعمل على وضع آليات لتلبية هذه الاحتياجات وتوجيه العمل التنموي تجاه الرؤى المشتركة المبنية على تجارب المؤسسات المحلية.

- Bhungalia, Lisa. "Managing violence: Aid, counterinsurgency, and the humanitarian present in Palestine." *Environment and Planning A: Economy and Space* 47, no. 11 (November 2015): 2308–23. <https://doi.org/10.1177/0308518X15598263>.
- Craggs, Ruth. "Development in a global–historical context." In *The Companion to Development Studies*, 3rd ed. Routledge, 2014.
- Edmonds, Penelope, and Anna Johnston. "Empire, humanitarianism and violence in the colonies." *Journal of Colonialism and Colonial History* 17, no. 1 (2016). <https://muse.jhu.edu/pub/1/article/613279>.
- Lösing, Felix. *A ›crisis of whiteness‹ in the <heart of darkness>: Racism and the Congo Reform Movement*. Bielefeld: transcript publishing, 2020.
- Mamdani, Mahmood. "Responsibility to protect or right to punish?" *Journal of Intervention and Statebuilding* 4, no. 1 (March 2010): 53–67. <https://doi.org/10.1080/17502970903541721>.
- Myers, David. "Opinion: Gaza's devastation and Palestine's future will require a new Marshall Plan." Los Angeles Times, 2023. <https://www.latimes.com/opinion/story/2023-11-21/gaza-destruction-palestine-future-new-marshall-plan>.
- Waage, Hilde Henriksen. "Norway's role in the Middle East peace talks: Between a strong state and a weak belligerent." *Journal of Palestine Studies* 34, no. 4 (2005): 6–24. <https://doi.org/10.1525/jps.2005.34.4.6>.

هنية، آدم. "التممية كأداة للنضال لمواجهة واقع الهيمنة في فلسطين." رام الله، فلسطين: مركز دراسات التتمية - جامعة بيرزيت، 2012. <https://cds.birzeit.edu/wp-content/uploads/2019/09/adam.pdf>.